الشيخ أبو طالب المازوني من خلال مخطوط:"الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب" للشيخ عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري

أ. بوركبة محمد*

اشتهرت مدينة مازونة[1] التاريخية العريقة، منذ أقدم العصور التاريخية بمدرستها الدينية المختصة في العلوم والمعارف والدراسات الفقهية المختلفة كالفقه وأصوله والفرائض، وعلم التوحيد وعلم الحديث، وعلم اللغة العربية من نحو وصرف وعلم البلاغة وغيرها من العلوم.

وقد عرفت بكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة شيوخها وعلمائها الأجلاء. تشير المصادر التاريخية وجميع الوثائق التاريخية[2] التي أرخت هذه المدينة، أن مدرسة مازونة الفقهية يعود إلى جد أبي طالب، الشيخ العلامة الفقيه: ((امحمد ابن الشارف)) في سنة 1029هـ. وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص، ودرس بها حوالي 64 سنة إلى أن توفته المنية سنة 1164هـ/، وقبره معروف وموجود بها، عليه قبة تسمى باسمه: " قبة ابن الشارف "[3]. هذه المدرسة متكونة من مسجد جامع للصلاة المفروضة، ومكتبة كبيرة فيها مختلف المصادر الفقيهة والأدبية...إضافة إلى بعض المرافق التابعة له، والتي كانت تستعمل لإيواء الطلبة.

*- قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

– التعريف بصاحب المخطوط:

هو الفقيه الأديب عبد القادر بن المختار الخطابي الجزائري دفين مصر. قرأ بمازونة على عالمها الشيخ أبي رأس المازوني سليل الجدين أبي طالب لأبيه وأبي رأس لأمه، ثم سافر إلى تونس سنة 1318 فبقي بها نحو السنة، ثم إلى مصر وفيها أكمل مؤلفه هذا سنة 1329، ولعل وفاته كانت سنة 1336 بمصر[4].

1– التعريف بالشيخ أبي طالب المازوني:

هو الشيخ الفقيه العلامة: أبو طالب، محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن محمد بن اعمر البلداوي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن مسعود بن الحسن بن سليمان بن إبراهيم بن عيسى بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المصادر التاريخية لم تذكر تاريخ ميلاد الشيخ أبو طالب محمد بن علي المازوني. ولكن الشيخ السنوسي[5] المكي في كتابه: ((البذور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة))، قال:"كان مولد الشيخ أبي طالب على ما أخبرني به بعض أصحابه أواخر المائة الحادية عشر (11)، أو مقاربا لأول الثانية (12)، الموافق لـ(18)"، ومن هذا نستنتج أن ميلاده رحمه الله كان بتقريب سنة 1103هـ.

تعلم الشيخ أبو طالب مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم على يد والده العلامة الفقيه علي بن عبد الرحمان، وذلك بمدرسة مازونة الفقهية، التي أسسها جده الأعلى الشيخ محمد بن الشارف.

ثم تلقى العلم والفقه عن شيوخ مازونة التي بلغت شهرتها في ذلك الزمن الآفاق، حيث وصفت بكونها بلد الفقه والعلم بالقطر الجزائري. واشتهر شيوخها بالتخصص، فبعضهم تخصص ونبغ في شرح ((مختصر)) الشيخ خليل[6]، والبعض في اللغة والأدب، والبعض الآخر في القضاء والأحكام والفرائض، وكل مشهور ومعروف بتخصصه ولا يعرف سواه.

كما تلقى رواية الحديث النبوي الشريف وإسناده عن الكثير من علماء عصره، أشهرهم على الإطلاق شيخ الجماعة بالجزائر القاضي المفتي أبي عبد الله محمد بن جعدون، كما كان يروي كذلك عن الشيخ ابن علي الشريف الزواوي.

وتعلم الشيخ أبو طالب على شيوخ آخرين مثل: الشيخ أبو طاهر محمد عبد السميع بن أبي العرفان، والشيخ إبراهيم الكوراني صاحب ((لوامع اللآلي في الأربعين العوالي))، والشيخ بن علي بن محمد بن عمر العجيمي المكي دارا، وتلقى العلم على العالمة الفقيهة قريش الطبرية المتوفاة سنة 1107هـ، وهي قريش بنت الإمام عبد القادر بن محمد بن يحي بن مكرم بن المحب الطبري المكية.

تولى الشيخ أبو طالب محمد بن علي المازوني التدريس بالمدرسة الفقهية بعد وفاة والده سنة 1189هـ، وبهذا نصب فيها للتدريس في سن

مبكرة. وكانت حلقته العلمية مميزة حافلة بالطلبة، وكان يدرس طلبته مختصر الشيخ خليل وشرحي الخرشي[7] والزرقاني[8]. كما كان يدرسهم الرقائق ورواية الحديث الشريف وحفظ السند.

– جهاده:

شارك الشيخ أبو طالب المازوني في محاربة الاحتلال الأسباني سنة (1205هـ)، حيث انتقل رفقة ابنه الوحيد الشيخ هني على رأس حوالي مائتي (200) طالب من مازونة إلى معسكر إلى وهران ماشيا على قدميه، وعمره آنذاك ما يقارب ثمانين (80) سنة. وفي هذه الأثناء جند الباي العثماني محمد الكبير[9] باي معسكر، عسكره ووضع العلماء في طليعة المجاهدين والمحاربين ضد الاستعمار الأسباني، لأنه كان يعلم جيدا أن مكانة ومنزلة العلماء لدى العامة. وقد أضاف الباي محمد الكبير الشيخ أبي طالب إلى قيادة الرباط، وجعله أميرا على الطلبة، رفقة الشيخين الجليلين محمد بن الموفق بوجلال والطاهر بن حوى القاضي بمعسكر.

وبعد طرد الأسبان وتحرير وهران، واستشهاد ولد الشيخ "هني" في معركة قرب مسرغين. قامت الدولة الجزائرية في العهد العثماني بتجديد بناء المدرسة الفقهية، وبنت بيوتات للطلبة، كما حبست عليها مجموعة من الكتب منها صحيح مسلم، التي تحتفظ المدرسة بجزء منه إلى الآن.

وقد تخرج على يد الشيخ أبي طالب المازوني علماء أجلاء، من بينهم الشيخ الحافظ محمد أبي راس الناصر المعسكري[10] صاحب التآليف الكثيرة. والشيخ محمد بن علي السنوسي نزيل جغبوب بليبيا، والشيخ أحمد بن عيسى المستغانمي، وشيخ الجماعة بفاس أبي محمد عبد السلام

بن أبي زيد البازمي، والشيخ عدة بن غلام الله محمد الميسوم[11]، والشيخ أحمد بن الشارف بن تكوك، وقد خصصه العلامة الفقيه، تلميذ أحفاده، عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري، دفين مصر المتوفى سنة 1336هـ، بتأليف سماه: ((الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب))[12].

- **آثاره:**

اشتهر الشيخ محمد أبو طالب المازوني، بقلة الإنتاج والتأليف ولا نعرف أنه ترك آثار مكتوبة أو مخطوطة ماعدا:

- حاشية على شرح الخرشي على مختصر خليل المعنونة بـ" درة الحواشي في حل الفاظ الخرشي".
- مؤلف في علم التوحيد.

وفاته:

توفي الشيخ أبو طالب سنة 1233هـ/ الموافق لسنة 1818م[13]، بمدينة مازونة عن عمر يناهز مائة وثلاثين (130) سنة، ودامت مدة تدريسه أربع وأربعين 44 سنة، وضريحه موجود بالغرفة رقم:04.

الهوامش:

1. مازونة: بالمغرب بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر. وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تحقيق إحسان عباس، ط2، طبع على مطابع هيدلبرغ بيروت، 1984م،، ص.521

2. 2- هناك رسالة بتاريخ 9 فيفري 1910م، إلى الحاكم المتصرف بأرنو (س.م بن علي حاليا) جاء فيها فيها:" فإن ذلك بالجد الأول الذي شرع في التدريس الشيخ السيد أمحمد أوله المعروف بابن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز (م.خ.م)....وضريحه موجود بالغرفة رقم:3. ينظر: بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع، جامعة ووهران، السنة الجامعية: (2002-2003م)، ص:29.

3. بوكفة يوسف، مدرسة مازونة الفقهية النهضة والسقوط، ص:29.

4. الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1276م): هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل فدرس علوما مختلفة، من بين تآليفه: ((الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية))، والمسائل العشر المسماة: ((بغية المقاصد وخلاصة المراصد))، والشمس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة. ينظر: عبد القادر بن عيسى المستغانمي: مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية مستغانم، ط1 –1996، ص: 97.

5. الشيخ خليل (776): هو خليل بن إسحاق المعروف بالجندي المالكي، العالم الفقيه العلامة. له تأليف أشهرها المختصر الفقهي المعروف باسمه، الذي كثرت شروحه مما يدل على أهميته في المذهب المالكي. ينظر: ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986م، ص 96.

6. الخرشي: شيخ المالكية أبو عبد الله: محمد بن عبداه الخرشي المتوفى: سنة 1102، اثنتين ومائة وألف. ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص:1628.

7. الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف ابن أحمد بن علوان الزرقاني المصري المالكي المتوفى: سنة 1122، اثنتين وعشرين ومائة وألف. ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص:1908.

8. محمد الكبير(1739-1797م): هو محمد بن عثمان الكردي كما هو شائع عنه. وكنيته أبو الفتوحات أو أبو النصر أو أبو الفتح، ولد بمليانة التي كانت تحت قيادة والده عثمان الكردي. يعتبر رجل من رجالات الجزائر العثمانية، الذين ساهموا في صناعة تاريخها في أواخر القرن الثامن عشر. وسنة 1779م، أصبح بايا على الغرب الجزائري. وكان مسايرا حضاري تغذيه حركة إصلاحية رائدة في الغرب، واهتم بالجيش كثيرا وقام بحملات عسكرية ضد الإسبان بوهران والقبائل العاصية ببايليك الغرب أو خارجه. أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير، باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط1، الناشر عالم الكتب المطبعة مخيمر القاهرة مصر، 1969م، ص ص15-17. ينظر: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1991م، ص ص72-74. مسلم بن عبد القادر الوهراني: ذخائر المغرب العربي، تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1394هـ/1974م، ص ص17-23.

9. الشيخ محمد أبو راس: هو الشيخ الفقيه الحافظ المؤرخ، محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر ابن علي ابن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، الراشدي المعسكري

الجزائري، صاحب المؤلفات الكثيرة المختلفة، منها عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والحلل السندسية، والخبر المعرب وغيرها. ينظر: محمد أبو راس الجزائري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته (حياة أبي راس الذاتية والعلمية)، حققه وضبطه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990م، ص:19.

10. الشيخ عدة بن غلام الله (1208-1283هـ/1747-1866م): هو عدة بن محمد الميسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد الخياطي. درس على يد الشيخ أبي طالب محمد المازوني، تولى القضاء في عهد الأمير عبد القادر. ينظر: حمدادو بن عمر وبوعمامة العربي، الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الفكر والتصوق، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص:9-15.

11. ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص:197.

12. الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م، ص: 262.

13. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم والمشيخات المسلسلات، تحقيق إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1982م، ج1، ص:506.